أُرَاكِضُ مُعْوِصَاتِ الشِّعْرِ قَسْراً
فَأَقْتُلُهَا وَغَيْرِي فِي الطِّرَادِ(١)

## الموت أصدق المواعيد

**يمدحه أيضاً، ويرثي أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان وقد توفي في حمص سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة (٩٤٩م):**

[المنسرح]

مَا سَدِكَتْ عِلَّةٌ بِمَوْرُودِ
أَكْرَمَ مِنْ تَغْلِبَ بْنِ دَاوُدِ(٢)
يَأْنَفُ مِنْ مِيتَةِ الْفِرَاشِ وَقَدْ
حَلَّ بِهِ أَصْدَقُ الْمَوَاعِيدِ(٣)
وَمِثْلُهُ أَنْكَرَ الْمَمَاتَ عَلَى
غَيْرِ سُرُوجِ السَّوَابِحِ الْقُودِ(٤)

---

= الإنشاد دون تحضير وإجادة ما يقوله؛ إنه سبق جواد يسبق سواه في مضمار الشعر الجيد المعجز.

(١) أراكض: أطارد. معوصات الشعر: الذي يصعب على الضعفاء من الشعراء الإتيان به. ينوّه الشاعر مفتخراً بما يأتيه من القصيد بسهولة ودون إعمال رأي رغم صعوبة معانيه التي نادراً ما يلتقطها سواه ورغم ما يبذل من جهد فإنه يضيع هباءً، بينما يستطيع المتنبي اصطياد عويص الشعر باقتدار عجيب ويبدع فيه.

(٢) سدك: لزم. المورود: المحموم. يبدأ الشاعر قصيدته بمدح الممدوح مباشرة دون مقدّمات تقليدية، معزّياً إياه بادئاً برثاء عمه تغلب بن داود، لقد حلّت الحمى ولازمت أكرم الرجال، إنها لم تجد أكرم من تغلب بن داود المضياف فنزلت حضرته تتنعم بمكارم أخلاقه، وتستحوذ عليه.

(٣) يأنف: يرفض. أصدق المواعيد: الموت. وكون تغلب بن داود شجاعاً فإنه يرفض موت الضعفاء على فراش الموت كالجبناء، بل إنه كان يتمنّى ميتة الأبطال في ميادين الكفاح.

(٤) السوابح من الخيول: التي تعدو كأنها تسبح لسرعة ركضها. القود: الطوال من الخيول. إن تغلب ابن داود مثال البطل الذي كان يعتلي ظهور الخيول السابحة التي تصول وتجول في ميدان المعركة، لذا يرفض أن يموت ميتة الجبناء والضعفاء.

بَـعْـدَ عِـثَـارِ الْـقَـنَـا بِـلَـبَّـتِـهِ
وَضَـرْبِـهِ أَرْؤُسَ الـصَّـنَـادِيـدِ[١]
وَخَـوْضِـهِ غَـمْـرَ كـلِّ مَـهْـلَـكَـةٍ
لِـلـذِّمْـرِ فِـيـهَـا فُـؤَادُ رِعْـدِيـدِ[٢]
فَـإِنْ صَـبَـرْنَـا فَـإِنَّـنَـا صُـبُـرٌ
وَإِنْ بَـكَـيْـنَـا فَـغَـيْـرُ مَـرْدُودِ[٣]
وَإِنْ جَـزِعْـنَـا لَـهُ فَـلَا عَـجَـبٌ
ذَا الْـجَـزْرُ فِـي الْـبَـحْـرِ غَـيْـرُ مَـعْـهُـودِ[٤]
أَيْـنَ الْـهِـبَـاتُ الَّـتِـي يُـفَـرِّقُـهَـا
عَـلَـى الـزَّرَافَـاتِ وَالـمَـوَاحِـيـدِ[٥]

---

(١) عثار القنا: إصابتها صدر المحارب وتلقّيه لها، اللبّة: وسط الصدر. الصناديد، الواحد صنديد: السيد الشجاع. لقد كان في حياته بطلاً لشجاعته يُقابل البطل الصنديد الذي يخاف بطشه مستعيناً برمحه فيتلقى الرمح بصدره ويقضي عليه بسيفه ثقة بشجاعته وعدم خوفه من الموت.

(٢) خاض المعركة: رمى بنفسه وسطها. الغمر: الماء الطامي. المهلكة: المعركة الطاحنة. الذمر: الشجاع. الرعديد: الجبان. وللدلالة على قوّته وشجاعته فإنه كان يخوض أشرس المعارك ويسبح في لججها ويخرج منها منتصراً مظفراً بينما يفرّ الشجاع من المخاطرة حذر الموت المحدق به فيعرّي نفسه ويبدو جبنه على حقيقته.

(٣) يخاطب الشاعر ممدوحه داعياً إياه إلى الصبر وهو من المعروفين بالصبر في الملمات والأزمات، والبكاء لا يرجع من رحل عن هذا الوجود؛ لذا فمن طبيعة الرجولة الحقّة التسليم بالقضاء؛ فالأمر ليس بأيدي البشر.

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٩٦. يروى «بكينا» بدلاً من «جزعنا». إن من طبيعة البشر أن يحزنوا في حال فقد أعزاء لهم، وذلك طبيعي لا غرابة فيه، ولكن الأمر أن الفقيد بحر كريم يفيض بالخيرات والجزر أضعف من البحر، ومع ذلك فقد فاجأ الجزر البحر حتى نضب فيه دفق الحياة، ولا عودة له.

(٥) أين: تفيد الاستبعاد. الزرافات: الجماعات. لقد ضاع كلّ شيء، فلا هبات ولا عطايا ينثرها الفقيد بين الناس الوافدين إلى حماه يبتغون الحصول على رفده؛ فقد توقّف كلّ شيء وهؤلاء هم بأمسّ الحاجة لكرمه فإذا بهم يفقدون مصدراً هاماً يُعينهم على حياتهم.

سَـــالِـــمُ أَهْـــلِ الْـــوِدَادِ بَـــعْـــدَهُـــمُ
يَـسْـلَـمُ لِـلْـحُـزْنِ لَا لِـتَـخْـلِـيـدِ[١]
فَـمَـا تُـرَجِّـي الـنُّـفُـوسُ مِـنْ زَمَـنٍ
أَحْـمَـدُ حَـالَـيْـهِ غَـيْـرُ مَـحْـمُـودِ[٢]
إِنَّ نُـيُـوبَ الـزَّمَـانِ تَـعْـرِفُـنِـي
أَنَـا الَّـذِي طَـالَ عَـجْـمُـهَـا عُـودِي[٣]
وَفِـيَّ مَـا قَـارَعَ الْـخُـطُـوبَ وَمَـا
آنَـسَـنِـي بِـالـمَـصَـائِـبِ الـسُّـودِ[٤]
مَـا كُـنْـتَ عَـنْـهُ إِذِ اسْـتَـغَـاثَـكَ يَـا
سَـيْـفَ بَـنِـي هَـاشِـمٍ بِـمَـغْـمُـودِ[٥]
يَـا أَكْـرَمَ الْأَكْـرَمِـيـنَ يَـا مَـلِـكَ الأُمْـ
ـلَاكِ طُـرًّا يَـا أَصْـيَـدَ الـصِّـيـدِ[٦]

---

(١) إنها غصّة يتركها المتوفّون في قلوب أهل ودادهم؛ همّ وحزن وبعد ذلك فإنهم يلقَوْن نفس المصير المحتوم.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٧. الرجاء بما يُمكن تحقيقه مرغوب فيه محبّب للقلوب، ولكن يتعلّق بالقضاء الذي لا مفرّ منه، لذا فلا يُحمد زمن مهما امتدت الحياة بالمرء، فلا بدّ من رحيل يترك في النفوس حسرات.

(٣) النيوب: المصائب. عجم العود: عضّه ليكتشف صلابته. يعبّر الشاعر عن ألمه وتبرّمه ممّا لاقاه في حياته من مصائب وعثرات توالت عليه فجعلته قوياً عاصياً على المحن، صلب العود لا تهزه رياح الزمن العاتية.

(٤) قارع: صارع. الخطوب، الواحد خطب: المصائب. وينوّه الشاعر بفضل تلك المصائب والويلات التي صادفته في حياته فآلفها وأنس بها فصارت جزءاً من حياته، ورغم ذلك فإنها لم تتوقف عن المكيدة له.

(٥) استغاث: طلب يد العون والمساعدة. يُخاطب الشاعر ممدوحه منوّهاً بما كان منه إذ استغاثه المتوفى، وكان قد أسرته بنو كلاب، فاستنقذه من أسرهم، وكان سيفاً لم يتوان في نجدته.

(٦) يُخاطب الشاعر ممدوحه، إنه ملك الملوك بلا منازع، فيه أنفة وكبرياء فهو أصيد الصيد.

قَـدْ مَـاتَ مِـنْ قَـبْـلِـهَـا فَـأَنْـشَـرَهُ
وَقْـعُ قَـنَـا الْـخَـطِّ فِـي الـلَّـغَـادِيـدِ[١]
وَرَمْـيُـكَ الـلَّـيْـلَ بِـالْـجُـنُـودِ وَقَـدْ
رَمَـيْـتَ أَجْـفَـانَـهُـمْ بِـتَـسْـهِـيـدِ[٢]
فَـصَـبَّـحَـتْـهُـمْ رِعَـالُـهَـا شُـزَّبـاً
بَـيْـنَ ثُـبَـاتٍ إِلَـى عَـبَـادِيـدِ[٣]
تَـحْـمِـلُ أَغْـمَـادُهَـا الْـفِـدَاءَ لَـهُـمْ
فَـانْـتَـقَـدُوا الـضَّـرْبَ كَـالأَخَـادِيـدِ[٤]
مَـوْقِـعُـهُ فِـي فَـرَاشِ هَـامِـهِـمْ
وَرِيـحُـهُ فِـي مَـنَـاخِـرِ الـسِّـيـدِ[٥]
أَفْـنَـى الْـحَـيَـاةَ الَّـتِـي وَهَـبْـتَ لَـهُ
فِـي شَـرَفٍ شَـاكِـراً وَتَـسْـوِيـدِ[٦]

(١) و (٢) اللغاديد: لحمات بين الحنك وصفحة العنق. أنشره: بعث فيه الحياة. يعود الشاعر إلى المتوفى، لقد مات عندما أُسر، فأنقذه الممدوح بقوة رمحه الذي أصاب من الأعداء مقاتلهم بين الحنك وصفحة العنق، وقد كانوا يخافون مفاجأتهم من قبل الممدوح، فجلا النوم عن عيونهم، وما إن هبط الليل حتى هبطت عليهم جنود الممدوح تستنقذ المتوفى من أيديهم.

(٣) الرعال، جمع رعلة: القطعة من الخيل. الشزب: الواحد شازب، الضامر من الخيول. الثبات، الواحدة ثُبة: الجماعة. العباديد: الفرق. أنهك الأعداء السهر، وكانت المفاجأة مع الفجر فإذا بالجند الفرسان يتدفّقون زرافات ووحداناً.

(٤) انتقدوا: قبضوا. الأخاديد، الواحد أخدود: الشقّ في الأرض. يصف الشاعر الهجوم الصاعق؛ سيوف مشرّعة لمن طلب الفداء بدل الأسر فإذا بالأعداء يحصلون على فداء، محتواه موت وتدمير وخراب وجراحات.

(٥) فَراش هامهم: عظام رقيقة تلي قحف رؤوسهم. السيد: الذئب. ولعظم ما نزل في رؤوس القوم من ضرب السيوف وكثرة ضحاياهم، إذ برائحة جثث القتلى تنتشر وتستدعي الذئاب لتنهش لحومهم.

(٦) لقد كان ردّ المتوفى بعد تحريره من أسر بني كلاب أن حفظ الجميل، فكان سيّداً مشكوراً يقوم بعظائم الأمور في سبيل ردّ ذلك الجميل لمن أعاد إليه حياة الحرّية، فعمل على تدعيم سيادته في إمارته.

سَقِيمَ جِسْمٍ صَحِيحَ مَكْرُمَةٍ
مَنْجُودَ كَرْبٍ غِيَاثَ مَنْجُودِ[١]
ثُمَّ غَدَا قَيْدُهُ الْحِمَامَ وَمَا
تَخْلُصُ مِنْهُ يَمِينُ مَصْفُودِ[٢]
لَا يَنْقُصُ الْهَالِكُونَ مِنْ عَدَدٍ
مِنْهُ عَلِيٌّ مُضَيِّقُ الْبِيدِ[٣]
تَهُبُّ فِي ظَهْرِهَا كَتَائِبُهُ
هُبُوبَ أَرْوَاحِهَا الْمَرَاوِيدِ[٤]
أَوَّلَ حَرْفٍ مِنِ ٱسْمِهِ كَتَبَتْ
سَنَابِكُ الْخَيْلِ فِي الْجَلَامِيدِ[٥]
مَهْمَا يُعَزِّ الْفَتَى الْأَمِيرَ بِهِ
فَلَا بِإِقْدَامِهِ وَلَا الْجُودِ[٦]

---

(١) السقيم: المريض. المنجود: الحزين. المنجود: طالب العون. يذكر الشاعر أن المتوفى كان قد أصيب بجراح قاتلة، فلم يشف وأدّى ذلك إلى وفاته، رغم كلّ محاولات شفائه، ولكن دون طائل.

(٢) الحِمام، بكسر الحاء: الموت. المصفود: المقيّد بالأصفاد والسلاسل. إنه القدر، والإنسان يقوم بما يتوجّب عليه من عمل، ولكن من كُتب عليه الموت توفّرت دواعيه فسلبته رمقه الأخير، وكان الموت.

(٣) و (٤) ومن العزاء أن موت عضو من أسرة كثيرة العدد تضيق برجالها العظام الصحاري لا يُؤثر كثيراً بمصير سيادة أميرها وسيدها، فالباقي من رجالها فيهم الخير وهم عماد مجدها، فإذا ما دعت الدواعي كانوا أسوداً ينتشرون في البوادي كرياح هوجاء تهبّ بعنف مدمّر. والأرواح: الرياح. المراويد: الرياح الهوجاء تهبّ في كل اتّجاه.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٠. السنبك: طرف حافر الفرس. الجلاميد، الواحد جلمود: الصخور. ولشدّة اندفاع خيول جيشه، فإن سنابك خيله طبعت الحرف الأول على الصخور، والصخور طويلة الأعمار، ممّا يعني خلود العين، وهي أول حرف من اسم علي، لسيف الدولة.

(٦) يُخاطب الشاعر سيف الدولة بأن العزاء لا يُسلي؛ فالموت طوى المتوفى، ولكن =

وَمِـــنْ مُـــنَـــانَـــا بَـــقَـــاؤُهُ أَبَـــداً
حَـــتَّـــى يُـــعَـــزَّى بِـــكُـــلِّ مَـــوْلُـــودِ[١]

## مصائب قوم عند قوم فوائد

**قال وقد أراد سيف الدولة قصد خرشنة فعاقه الثلج عن ذلك:**

[الطويل]

عَـــوَاذِلُ ذَاتِ الْـــخَـــالِ فِـــيّ حَـــوَاسِـــدُ
وَإِنَّ ضَـجِـيـعَ الْـخَـوْدِ مِـنِّـي لَـمَـاجِـدُ[٢]
يَـــرُدُّ يَـــداً عَـــنْ ثَـــوْبِـــهَـــا وَهْـــوَ قَـــادِرٌ
وَيَـعْـصِـي الْـهَـوَى فِـي طَـيْـفِـهَـا وَهْـوَ رَاقِـدُ[٣]
مَتَى يَشْتَفِي مِنْ لاعِجِ الشَّوْقِ فِي الْحَشَى
مُـحِـبٌّ لَـهَـا فِـي قُـرْبِـهِ مُـتَـبَـاعِـدُ[٤]
إِذَا كُـنْـتَ تَـخْـشَـى الْـعَـارَ فِـي كُـلِّ خَـلْـوَةٍ
فَـلِـمْ تَـتَـصَـبَّـاكَ الْـحِـسَـانُ الْـخَـرَائِـدُ[٥]

---

= العزاء أن أعماله سوف تبقى بالذاكرة حيّة لشدّة كرمه وشجاعته الفائقة التي استخدمهما لإعلاء شأن الأمير.

(١) يدعو الشاعر معبّراً عن أمانيه لو يبقى المتوفى حيًّا ليعزّى بكل مولود.

(٢) الخَوْد: المرأة الحسناء الناعمة. العواذل، الواحد عذول: اللائم. الضجيع: المشارك في الفراش. ثمة من يحسد ذات الخال، الحسناء الجميلة، يلومها على أنها أحبّت الشاعر الماجد النبيل، وهي تشاركه الفراش.

(٣) يصف الشاعر نفسه بالعفاف، فهو لا يقربها فلا يُدنّس عفافها مع أنه قادر على ذلك، ذلك أنه يكره الفاحشة، وكذلك نفسه لا تحدثه بوسواس الشياطين حتى في حال نومه العميق وطيفُها يمثل أمامه.

(٤) اللاعج: المحرق. الحشا: ما اضطمَّت عليه الضلوع. يُعاني الشاعر حبًّا عظيماً في ضلوعه، واللهب يكاد يُحرق ما في قلبه لشدّة شوقه، ورغم ذلك فهو لا يرضى بأن يُقدم على ما يُسيء إلى حبيبته رغم قربه بدنياً إلّا أنه يبعد عنها وجدانياً.

(٥) تتصبّاك: تستميلك. الخرائد الواحدة خريدة: الحييّة الخفيضة الصوت من النساء. يصوّر الشاعر صراعه النفسي؛ إنه بين أمرين؛ إنه يخاف من تجربة تُودي به إلى الندم =